ISSN: 1812-0512 (Print) 2790-346X (online)

Wasit Journal for Human Sciences

Available online at: https://wjfh.uowasit.edu.iq

Haider Ali Khadir
Middle Technical University
Technical Administration Institute / Department of Tourism Technology.

*** Corresponding Author**
Email:
haider.ali@mtu.edu.iq --

Keywords:
Ancient Iraq. Gods. Prayer

Article history:
Received: 2024-09-02
Accepted: 2024-10-14
Available online:2025-02-01

Beginnings of religious life in ancient Iraq

A B S T R A C T

The ancient Iraqi civilization had a clear impact on various civilizations in the world, especially in the field of religion, as it was a major motive for these human civilizations and the main reason for accomplishing political, artistic, literary, intellectual and other tasks, as religion is the belief in the existence of an invisible higher power that controls the feelings, choices and actions related to humans. The images of the gods that the ancient Iraqis depicted in their decisions and discussions reflected the reality in their lives, as they looked at the gods with admiration, gratitude and hope to achieve their desires and considered them a role model in organizing their lives, so they worked to please the gods and avoid their anger. The gods resemble humans in all their qualities, from eating, drinking, and fornication. Still, they are distinguished from them by immortality, as the role of the gods was to interfere in their daily affairs, protect them from demons and evil spirits, and organize their lives in various aspects of life.

DOI: https://doi.org/10.31185/wjfh.Vol21.Iss1/Pt1.754

بدايات نشوء الدين في العراق القديم

م.م حيدر علي خضير
الجامعة التقنية الوسطى / معهد الإدارة التقني
قسم تقنيات السياحة

المُستخلص

كان لحضارة العراق القديم التأثير الواضح على مختلف حضارات العالم وفي مجال الدين خصوصا، فقد كانت دافعاً رئيساً لهذه الحضارات الإنسانية، والسبب الأساسي في إنجاز المهام السياسية والفنية والأدبية والفكرية وغيرها؛ إذ إن الدين هو الاعتقاد بوجود قوة عليا غير مرئية تتحكم في المشاعر والاختيارات والأفعال المتعلقة بالبشر، وكانت صور الآلهة التي صورها العراقيون القدماء في اتخاذ قراراتهم ومناقشاتهم تعكس الواقع الموجود في حياتهم، فقد كانوا ينظرون إلى الآلهة بإعجاب وامتنان وأمل في تحقيق رغباتهم، واعتبروها مثلا أعلى في تنظيم حياتهم، فعملوا على إرضاء الآلهة وتجنب غضبها، فالآلهة تشبه البشر في كل صفاتهم من أكل وشرب ونكاح ولكنها تتميز عنهم بالخلود؛ إذ كان دور الآلهة أن تتدخل في شؤونهم اليومية وتحميهم من الشياطين والأرواح الشريرة، وتنظم حياتهم في شتى المجالات الحياتية المختلفة.

الكلمات المفتاحية: العراق القديم. الآلهة. الصلاة

المقدمة

بينت النصوص التاريخية والأثرية القديمة أن الإنسان في العراق القديم كان يؤمن بوجود قوة إلهية موحدة تسيطر على الكون وتدبر أمره وتضع القوانين وتضبط حركته، وأن قضية إيمان الإنسان بالإله الواحد قضية فطرية يقول بها اليوم بعض العلماء الذين درسوا أحوال القبائل البدائية وأنواع معتقداتها، فرأوا أن عقائد هذه القبائل البدائية الوثنية ترجع بعد تحليلها وتشريحها ودراستها الى عقيدة أساسية قائمة على الاعتقاد بوجود الإله الذي هو في نظرنا القوى الغيبية التي أخذت من المعتقدات والعبادات والطقوس الدينية حيزا في حياة الشعوب القديمة وفي حياة المجتمع العراقي القديم، وتركت آثارا واضحة في مسيرته الحضارية، إذ يعد الجانب الديني واحدا من أبرز العوامل المؤثرة في حضارات الأمم، فهو يسهم في تحديد الجوانب العامة للعادات والتقاليد والأعراف والقوانين، وله العديد من الآثار في الحياة الاقتصادية والفنية والأدبية والعمرانية والتعليمية؛ لذلك فدراسة الدين تعد على قدر كبير من الأهمية لمعرفه تاريخ الأمم وحضاراتها؛ إذ لم يكن لنشوء الدين فكرة واضحة، فقد كان واحدا من الأسرار الكبيرة لتحديد النشأة الأولى له، التي سنحاول توضيحها في هذا البحث.

تكمن أهمية موضوع البحث في دراسة فكرة نشوء الفكر الديني ومسألة تطوره في العراق القديم في عصور ما قبل التاريخ والفترة اللاحقة منه، محاولا دراسة الأسس والقواعد لتلك الأفكار والمعتقدات، فنحن نحاول من خلال المصادر التاريخية والأدلة والأثرية كشف بعض الحقائق عن نشوء وتطور فكرة الدين باعتباره واحداً من أهم الأسس لتكوين الحضارة وعكسها في واقع المجتمع الإنساني للعراق القديم.

حاول البحث معالجة بعض التساؤلات التي واجهته، وتركزت بوجه عام في دراسة الآراء والفرضيات والتفسيرات وعرضها بما يخص جانب المعتقدات والأفكار الأولى للإنسان، محاولا تفسير ما حوله من قوى طبيعية وتحليلها، وعرض نتائج الدراسة من خلال تحليل الأدلة التي واكبت الحقائق بشكل علمي ودقيق.

اتبعنا في دراسة هذا البحث المنهج الوصفي التاريخي، محاولا وصف فكر الفرد في مجتمع العراق القديم ومعارفه في الآلهة والدين والطبيعة وآلية الطقوس الدينية وتنوعها، إذ تم تقسيم البحث على محورين أولهما نشأة الفكر الديني وظهوره في الفكر العراقي القديم، وثانيهما الآلهة البدائية وتطور مفهومها وتجسيمها وتعددها في العراق القديم.

المحور الأول – نشأة الفكر الديني في العراق القديم

إن علماء الأديان والأنثروبولوجيا لم يتفقوا على نشأة الدين الأولى فتوجه فريق منهم في دراسة آثار الأقوام السابقة وفي أساطيرها معتمدا على الأنثروبولوجيا ، وفريقٌ اهتم بدراسة الأوضاع الاجتماعية ، وفريق ثالث بحث في أوصاف آلهة الاقوام القديمة، فكان لابد لهذه الطرق أن تنتهي الى نتائج مختلفة، تبين لعلماء الأديان والاجتماع أن أديان الشعوب القديمة هي ذاتها كانت خلاصة لتطورات خلفت الأجيال المتعاقبة على مر العصور، ولكي يتم الاطلاع على الوضع الديني الأول في العراق القديم كان يجب التعمق والبحث في الأديان الأخرى، ولا يتم ذلك إلا بدراسة الأديان البدائية، إذ إن حياة الإنسان البدائية كانت محفوفة بالمخاطر والكوارث الطبيعية، وقد عاش الإنسان قرونا طويلا حاول من خلالها معرفة نشأته ومصيره ، إذ كان آنذاك قاصر الإدراك حول مصيره، فقد دفعته ملاحظات ما يحيط به، وحيرته أمام الأسرار التي كان يراها ولا يدرك ماهيتها الى الاعتقاد بأن كائنات خارقة هي التي تسبب له الخوف او الموت او الجوع او المرض؛ مما سبب له الدهشة من الأمور التي لم يستطع إدراكها؛ لذا لجأ الى استعطافها واعتبارها إلها لكسب رضاها او لدفع أذاها او لشكرها على ما أنعمت عليه من خيرات؛ إذ إن كل هذه الملاحظات والأمور تظافرت على نشوء العقيدة الدينية عند الإنسان في التاريخ القديم التي أسهمت في بلورة وتكوين هذه العقائد الدينية ونشوئها.(الهاشمي، 1963 ص 56-57)

يوصف الدين غالبا على أنه المحرك الأساسي والرئيس لقيام المجتمعات ونهوضها؛ إذ إن للمعتقدات الدينية أهمية قصوى في حياة الشعوب القديمة بل يمكن الجزم بأنها كانت من أهم العوامل المؤثرة في سير حياتها وتطور حضاراتها، فبالتأكيد إن المعتقدات الدينية تحدد سلوك الإنسان وعاداته وتقاليده وتطبعه بطابع خاص وتنظم أعرافه وتقاليده وتضبط تصرفاته مع الآخرين، إن العقيدة الدينية القديمة موجودة منذ قدم الإنسان على سطح الأرض، ولكنها مع ذلك صعبة التحديد بدقة الزمان؛ لأن هذه الدقة لم تعرف بعد عن الإنسان نفسه، مع ذلك يمكن القول بأنها وجدت في مناطق عديدة من العالم بين أقدم التجمعات البشرية التي عثر عليها المنقبون الأثريون في مناطق استيطانهم المختلفة، فقد تم العثور على مخلفات ومختلفات لها علاقة بالدين، ويستنتج من دراسة تلك المخلفات الأثرية أن عناصر العقيدة الدينية عند الجماعات المختلفة تشير الى التشابه والاختلاف، إلا أن الملاحظ في ذلك أن حالات التشابه أكثر من حالات الاختلاف، ومنشأ هذا التشابه قد يعزى الى عامل الانتشار بين الجماعات وعامل الأصالة المستقلة او الناتجة عن العيش في ظروف متماثلة .(الدباغ، ص101)

إن بداية الحياة الدينية ارتبط ارتباطا وثيقا في بلاد والي الرافدين بالأحداث الطبيعية وقوة الطبيعة ومنها الفيضانات السنوية الزوابع الرعدية الأمطار وظهور الحجم الكبير للقمر، ففي هذه الحالة أدرك الإنسان ضعفه

في وسط هذه القوى، وبدأ يناله الخوف، ويشعر أن هنالك قوة عملاقة تتحكم به وبمصيره، فيتوجس في نفسه القلق، ويشعر بعجزه أمام تلك القوى، وقد كان من نتيجة تلك الأفكار إحساسهم بوجود علاقه تربطهم مع تلك القوى؛ مما أدى الى تطور هذه العلاقة، فاصبح الدين هو أساس كل شيء في حياتهم، فنجدهم كانوا يهتمون برأي الإله في مختلف شؤون حياتهم اليومية، فقد جسدوا ذلك على أرض الواقع بملاحظة كل الظواهر الطبيعية والفلكية التي حصلت حولهم، وتم رصدها وعجز عنها وعن إدراكها فهمهم، فأخذ الفرد في تلك الفترة يلاحظ تلك التغيرات الطبيعية ويرصدها، ومن ثم يحاول تحليلها للوصول الى أجوبة الى تساؤلاتهم وتساؤلات الإله، ومن هنا أخذ المنطق حول الدين والديانة ينمو ويتطور بشكل كبير، فإن دراسة نشأة المعتقدات الدينية في العراق وتطورها على درجة كبيرة من الصعوبة، وذلك بسبب عدم معرفتنا لبداياتها الأولى وأن المعلومات التي لدينا على المعتقد الديني في عصور ما قبل التاريخ تعتمد على بعض المخلفات المادية والأثرية التي تركها الإنسان ومنها النقوش ودمى الطين والتماثيل والمشاهد الدينية المنقوشة والمسلات والاختام والمنحوتات على اختلافها، أما عن الآثار المادية فهي المعابد والزقورات وأماكن القرابين ومرافق المعابد الأخرى، فما نعرفه عن معتقدات عصور ما قبل التاريخ قليل ومعظمها غير مؤكد لأن جميع المصادر تعتمد على المخلفات والآثار المادية التي تركها الإنسان وأن استقراء وتحليل تلك الآثار خاض على الاجتهاد والاختلاف في الرأي.(علي، 2013 ص 13)

يمكن تصور الواقع الموضوعي لملاحظات وفكر الإنسان الديني في العراق القديم من خلال استقراء الآثار المادية وأعمال معينة، تم تجسيدها في الآثار التذكارية التي أقامها الناس، إذ إن الفن في العصور السابقة من حضارة العراق القديم ما هو إلا انعكاس للحياة الدينية والاجتماعية والدعامة الأساسية لكل حضارة ولكل تجمع بشري، ويتبين من دراسة تلك الآثار أن الإنسان في العصور السابقة قد مارس بعض الطقوس السحرية الدينية التي ظهرت من خلال النقوش على جدران الكهوف التي عاش فيها، وأغلب تلك النقوش كانت الحيوانات التي كان يقوم باصطيادها الإنسان، وأنه كان مدفوعا في فنه بدوافع السحر (بوتيرو،1990 ص250)، إذا اعتقد أنه برسم الحيوانات تلك على جدران الكهف يتمكن من السيطرة عليها، ونشأت عنده بعض الأفكار عن الحياة والموت فضلا عن طرق دفن الموتى، فظهرت أولى الأفكار للدين على شكل اعتقادات ورسوم بدائية وممارسه فنون السحر، إلا أنه يعد السحر أول محاولة فاشلة للإنسان للسيطرة على الطبيعة، وبعد انتقال الإنسان من مرحلة جمع القوت والاستقرار في مستوطنات زراعية ، بعد ذلك أخذت فكرة التطور الديني تتضح بصورة أكبر؛ وذلك لارتباط الطبيعة وقواها وتداخلها بصورة أعمق في الحياة اليومية للمجتمع في العراق القديم (أنطون، دت ص 69)، وبسبب التأثير البيولوجي في الإنسان فإنه أخذ يشبه كل ما موجود في الطبيعة بنفسه وجعل لها روحا وصورها كأنها كائن غير مادي لها خواص بشرية، ويمتلك قوة خيالية مثل الرعد والصاعقة والغابة والنهر؛ إذ جسدت أن لها روحا، وصنفت كائنات فوق الطبيعة.(الأعرجي، 2022ص12)

أما عن بداية تكوين الديانات الإلهية وتنوعها يمكن الملاحظة بأن أصل القوم الذين سكنوا في الجزء الجنوب من بلاد الرافدين بعد تكونه في أواخر الألف السادس قبل الميلاد قد تأثروا بمعتقدات القسم الشمالي من بلاد وادي الرافدين التي اتسمت بالطابع الزراعي، والملاحظ عن هذه الحضارة بأنها كانت تعتمد في زراعتها بصورة

رئيسة على نزول المطر كما هو الحال في الأوقات الحالية بالنسبة للزراعة الحبوب في المناطق الشمالية من العراق وسبب في ذلك واضح هو أن هذه الأراضي لا ينفع معها استخدام أنظمة الري؛ لذلك فإنها مضطرة للاعتماد على مياه الأمطار ، وبسبب هذه الحقيقة فإن أولى هذه الحضارات الزراعية قد نشأت في المناطق التي كانت تعتمد على الأمطار الفصلية، إذ تكون كافيه لنمو الزرع، ومن الآثار التي خلفتها هذه الحضارات الزراعية تأكد لنا بأن سكانها قد عبدوا رموزا للخصوبة باعتبارها أولى الآلهة وأولى وملامح الدين، وقاموا بتقديس كل شيء يساعد على وفرة الإنتاج في الحياة إذ تم الترميز لهذه العبادة بالدمى المصورة التي تعد رمزا للعطاء والخصب والنماء الموجودة في الطبيعة، وأطلق على هذا النوع من العبادة "الآلهة الم Mother Goddess" (رشيد، 2004 ص 146)

عبد العراقيون آلهة كثيرة تقرب الألفين والخمسمائة، تتباين عن بعضها في الأهمية وأحيانا القدم، وعلى الرغم من غياب المعلومات الكافية عن أصول ديانتهم، فإن المعبودات نفسها توضح بأنها قد مرت بمراحل الحيوية قبل تكاملها في العصر السومري القديم.

إن من أهم أساسيات الفكر الديني في العراق القديم هو تشبيه الآلهة بالبشر في صفاتهم وأشكالهم وكذلك غرائزهم (لابات،1988)، إذ انعكس هذا التفكير والمفهوم الديني على طريقة تصوير الآلهة في المخلفات الأثرية والفنية المختلفة على سبيل المثال إله المياه أنكي الذي تم تصويره على هيئة مجسم يجري الماء من جسمه، وكذلك إله الشمس تم تصويره على مجسم تخرج الأشعة من كتفيه وأجزاء أخرى من جسمه، وتصور النصوص الدينية القديمة، إن الآلهة كائنات إنسانية جبارة إلا أن لهم كل المعايب، فهم كذابون وجبناء ومخادعون ومتوحشون، وتصور الإنسان واقفاً تحت رحمة القدر ومخلوقا للموت، ففي أسطورة اتراخاسس (هو عنوان ملحمة كُتبت في القرن الثامن عشر قبل الميلاد بعدّة روايات على ألواح الطين سُمّيت الملحمة باسم بطلها، أتراخاسس، الذي يعني اسمه «شديد الحكمة». تحتوي ألواح أتراخاسس على أسطورة خلق وقصة طوفان، وقصة الطوفان هذه واحدة من قصص الطوفان البابلية الثلاث التي وصلتنا. يظهر اسم «أتراخاسس» أيضا في قوائم الملوك السومريين، بوصفه ملك شوروباك في أزمنة ما قبل الطوفان). نجد أن هناك تشبيها للآلهة بالبشر حتى التسمية نفسها على الآلهة إذ يرد في النص التاريخي:

" حينما كانت الآلهة لا تزال بشرا كانوا يضطلعون بالشغل ويحملون الكد كان عناء الآلهة كبيرا وشغلهم ثقيل وشدتهم طويلة". (باقر، 1976)

ويذكر في أحد النصوص تصوير أعضاء الإله الشبيه بالإنسان:

" عيناك ايها السيد هما عيناه إنليل وننليل، شفتاك الاثنتان هما شفتا انو وانتو، راسك هو ادد الذي خلق السماء والارض جبينك هو جبين شاله قرينته المحبوبة التي تفرح القلب ورقبتك هي رقبة مردوخ.....".(مارغريت، 1984 ص157)

تطور بعد ذلك مفهوم الديانة حتى أصبح أشبه بممارسات دينية عقائدية للإيفاء بالمستلزمات الدينية، إذ شملت في ديانة حضارة وادي الرافدين: التطهير والصلاة والتراتيل، النذور والقرابين، الاحتفالات الدينية والأدعية

والتعاويذ، معرفة الطالع والتكهن بالمستقبل، اندمجت هذه الممارسات بعضها مع بعض حتى أصبحت عبارة عن صلاة يؤديها الفرد الى الإله. (ساكز،2000 ص 211)

تعد الصلاة أول طقوس العبادة في الديانة السومرية وحلقة وصل قوية بين الأرض والسماء او بين الإنسان والإله وارتبطت بممارسات محددة يتقدمها التطهير التام والوضوء بغسل اليدين والركوع والسجود ورفع اليدين الى الآلهة والتمتمة ببعض الكلمات والأدعية بما فيها الشكاوى والتوسلات وعبارات الشكر والطاعة والعفو والمغفرة، وبذلك شكلت الصلاة أولى الطرق للفرد للاتصال بالآلهة .(اوبنهايم، 1981 ص 236–237)

كانت التجمعات السكانية في المجتمعات القديمة تقيم طقوسها الدينية في مكان ما تسوده الروحية الدينية، إذ أدت هذه الممارسات الى ظهور أول مؤسسة اجتماعية عامة في شمال البلاد وهي المعبد وخدمته من الكهنة، في حدود 5000 ق.م، إذ شكل مركز الحياة الحضارية ومحور التجمعات السكانية وهناك أسباب مقنعة على أن القائمين على المعابد كانوا أقدم حكام المجتمعات المتحضرة في وادي الرافدين، وكان الكاهن الأعظم يجمع في شخصه السلطتين الدينية والزمنية، هذا قبل أن تبدأ عملية الانفصال التدريجي بين الوظيفتين في فترة ما من قبل عصر فجر السلالات بظهور الحاكم الزمن المفوض من إله المدينة لإدارة شؤون الدولة الأرضية وأطلق على هذا الحاكم اسم (انسي) ENSI وأعقبه ظهور الملك (لوكال) LOKAL عندما كان يتسنى لحاكم المدينة بسط نفوذه وإخضاع حكام مدن أخرى لسلطانه ، وهكذا نجد أن المدينة السومرية في حضارة بلاد وادي الرافدين تنمو ليس حول قصر او قلعة وإنما حول ضريح او مرقد، وفي كل الأحوال كان المعبد هو المحور الأساسي الذي تدور حوله النشاطات الاقتصادية والاجتماعية في العراق القديم.(باقر،1986 ص 556)

كانت الطقوس والصلوات والتراتيل الدينية في المعبد لاستهداف هدفين فقط، أولهما معرفة إرادة الآلهة وكسب رضاها، وثانيهما أنه يمكن للفرد أن يعيش بسلام مع إلهه ومجتمعه؛ إذ يتولى العرافون إنجاز المهمة الأولى، أي معرفة الإرادة الإلهية، ويتولى المنشدون والسحرة المهمة الثانية، فبالإضافة للكهنة المسؤولين عن إدارة المعبد ونشاطه والمشرفين عليه، كذلك كان هناك أصناف مختلفة من الكهنة والكاهنات حسب اختصاصاتهم للطقوس الدينية، فمنهم المشرفون على الصلوات ومنهم المشرفون على الأضاحي والقرابين وطريقه ذبحها، ومنهم المشرفون على المنشدين في الأعياد والمناسبات الدينية يضاف اليهم العرافون والسحرة؛ إذ تتلخص عمليات الإشراف والصلاة والقرابين في أن الآلهة تكشف عن إرادتها بدلالات كثيرة جدا يمكن ملاحظتها في الأحداث الطبيعية اليومية ، إذ كان العراف يحظى بمكان رفيع ويخضع لفترة من الدراسة والتدريب، وينحدر من عائلات راقية يقوم بالتنبؤ من خلال دراسة إحشاء الأضاحي من الحيوانية خاصة الكبد، علاوة على رمي الأقداح وسكب الزيت في الماء والملاحظ هنا أن الولادات البشرية والحيوانية غير الطبيعية وغيرها من الأحداث الغريبة على القوم تعد نوعا من الفعل الذي يجسد إرادة الآلهة، وتطلب الكشف والتفسير، فقد كان العراف يحتل مكانة، ويكلفه الملك باستمرار لمعرفة مستقبل الأحداث خاصة قبل إقدامه على الحملات العسكرية او ما شابه ذلك.(كوتينيو، 1986 ص467)

نستنتج مما تم ذكره أن تبعية الإنسان في العراق القديم للآلهة كانت أشبه بما تكون علاقة الخادم بسيده التي تعد علاقة تبادلية تتمثل بالخدمة التي يقوم بها العبد مقابل الحماية من قبل السيد، وطالما كان الإنسان خادما مطيعا ومجتهدا فعلى الآلهة بدورها منحه الحماية والمكافأة، وذلك بحسب نظرة الفرد للإله عن طريق الخدمة والتعبد وتقديم القرابين والصلاة، وهو نوع من العدالة الإلهية نحو الإنسان، ولكن من حق تلك الآلهة أن تمنحه العدالة او لا تمنحها وليس من حق أي إنسان المطالبة الشخصية بها؛ لهذا ربما لا نجد في هذه المدة وهي مدة سيادة الفكر السومري القديم أي نزعة فردية لدى الإنسان العراقي، فهو مجرد خادم وعبد تابع للآلهة آنذاك. (الطعان، 1981 ص 825)

المحور الثاني– الآلهة البدائية وتطور مفهومها وتجسيمها وتعددها في العراق القديم

يعد المعتقد أول أشكال التعبير الجمعي عن الخبرة الحسية الفردية التي تخرج من حيز الانفعال العاطفي الى حيز التأمل الذهني، ويبدو أن إمكانية الوصول الى تكوين المعتقد هو حاجة سيكولوجية ماسة، إن المعتقد يدخل الإنسان في صياغة العديد من المفاهيم المتأتية من تجاربه ومحاولة إسقاطها على العالم الخارجي مع خلق شخصيات معينة وقوى معنوية؛ إذ يمكنهما استقطاب الإحساس بالمقدس وتجذبه الى خارج النفس؛ وبذلك تكونت الصيغ الأولية للمعتقدات؛ إذ إن المعتقد الديني هو شأن جمعي بالضرورة فإن عقول الجماعة تعمل على صياغته، كما تعمل الأجيال المتلاحقة على تطويره ومحاولة جعله ملائما لظروف الحياة.

إن الإنسان في بدايته كان في علاقة مباشرة مع الطبيعة، وكان يتأثر كثيرا بتحولاتها ومتغيراتها كما ذكرنا في المحور الأول، فإن تلك العلاقة بين الإنسان والطبيعة جعلته يرغب بالمشاركة والاندماج ، إذ كانت للطبيعة آثارها على الإنسان في العراق القديم بإثارة دهشته او العجب من الظواهر والمظاهر الطبيعية، إذ كان للعوامل الجغرافية الأثر الكبير في ولادة معتقد الإنسان، فيقول فريزر إننا على ثقة أن لنشوء الديانة في العراق القديم والحضارات الأخرى قد تأثر ذلك التأثر الكبير بالمحيط الطبيعي أكثر من أي نظام اجتماعي، إن أولى الديانات انبثقت عن عبادة مظاهر الطبيعة؛ وذلك لأن الإنسان في العراق القديم كانت تحت تأثير الخوف من مظاهر الطبيعة والرهبة منها في كل جوانبها من حيوان ونبات وجماد؛ إذ إن قوى الطبيعة كانت أهم الأسباب التي دفعت الإنسان الى ابتكار فكرة الآلهة. (كاسيرر، 1995)

أما عن بداية تكوين وابتكار الآلهة، يشير الكثير من الباحثين إلى أن الآلهة تكونت في الكهوف بصورة كاملة تقريبا إذ قام الإنسان في بداياته برسم أشكال حيوانية مع مراعاة حركاتها وأوضاعها في الطبيعة، ثم قدمها بتلك المهارة الفنية العظيمة برسمها على الجدران، وأن هذه الصور تدل على سحر الصيد الذي يشبه ذلك السحر الذي ما زالت تمارسه بعض القبائل التي تعيش على الصيد والقنص في أفريقيا، أما عن أسباب رسمه فإن الحيوان المرسوم له وظيفة العنصر البديل إذ يحاول الصيادون بذبحه أن يأملوا مسبقا بموت الحيوان الحقيقي الذي يُخاف منه، وحسب التفكير القديم أن ما يحدث للصوة سيحدث للأصل والحقيقة السيكولوجية الأساسية هي وجود تطابق شديد بين الصورة التي تمثل روح الكائن على الجدران والكائن نفسه.(ميلارت، 1990)

يعد الخوف من أهم عوامل ودوافع اعتناق العقيدة الدينية في العراق القديم؛ ولذا يعد من أهم مصادر المعتقدات الدينية، إذ كانت القوى المحيطة بالفرد تمثل تجسيدا للقوى الطبيعية التي تسهم في ضمان الوجود بصورة عامة، وهي ما تتمثل في الرسومات التي قام برسمها الفرد في العراق القديم على جدران الكهوف مثل الشمس والقمر والحيوانات والرعد وغيرها، كانت تلك الرسومات تمثل استجابة لحالة الخوف والقلق التي كانت تملك الإنسان وهو يواجه هذه القوى، إن الشعوب القديمة كانت تمتلك تفكيرا وخصوصا أن الحاجة والمعرفة تدفعهم لفهم العالم المحيط بهم، إذ إن الإنسان في بداياته التاريخية كان مفكرا ولم يعتمد على التأمل فحسب، بل أثرت الظروف الطبيعية في حياته وتفكيره وجعل سلوكه قادرا على خلق التوازن والصمود في وجه الأخطار والمخاوف حتى دفعته تلك العوامل الى الشعور بأهمية الانتماء وخلق الروح الجماعية، وإن جل تفكير الإنسان في العراق القديم يتمثل في التآلف مع الآخرين وإمكانية العيش ضمن تشكيلات اجتماعية متعددة وكبيرة تضمن له البقاء على قيد الحياة، وضمان العيش السليم؛ وعليه فقد تبلورت لديهم فكرة الوعي الديني من خلال الاعتقاد بقوى الطبيعة؛ مما يجعله يميز عن الكائنات الحية الأخرى.(الهاشمي،1963)

وبعد أن وجد الإنسان حياة الاستقرار الأولى دفعت حواسه الى ضرورة استكشاف ما حوله وما يتعرض له من مستجدات الطبيعة، إن زيادة معارف الإنسان الفكرية والإبداعية والتراكم الزمني والفراغ الفكري قد حفزت الإنسان ليواجه عدد من الألغاز التي شكلت مخاوف لديه مثل لغز الولادة والخسوف والكسوف والأحلام والمرض الموت والفناء فضلا عن القلق الذي كان ذلك هو الدافع الأساسي لإشباع مخيلته بأي صورة فكرية يستطيع بلوغها؛ إذ فتحت له هذه المحن الفكرية المجال العقلي في تبجيل وتوقير وتعظيم مظهرا او مظاهر متعددة من الطبيعة التي كان لها ذلك التأثير الكبير في محيطه البيئي ليقوده ذلك التفكير والمعرفة الى شكل من أشكال التقديس للمظاهر الطبيعية وتقديسها تقديسا منتهيا بالعبادة او تقديم الطعام او الانتظام بممارسات دينية، إذ مرت تلك التطورات الفكرية الدينية بمراحل زمنية طويلة تطورت من خلالها الآلهة وأصبح للآلهة الكثير من التقديس والتبجيل فضلا عن أنه لا يمكن أن نبخس نزعة الإنسان منذ بداية تكوينه نحو القيمة الجمالية او النزعة العاطفية لا سيما علاقته مع النبات والحيوان التي انعكست ربما في تصوير ما يحيطه ومحاولة التعبير عن رأيه واستعطاف ما حوله من خلال التعبد للآلهة التي تطورت فيما بعد من الرسوم البدائية على جدران الكهوف الى تقديسها في أماكن خاصة وترتيبها من حيث الأهمية للمجتمع. (برجسون، 1971)

لقد تقدم الإنسان في حياته ومعتقداته من البدائية في التفكير والاعتقاد الديني والعادات الاجتماعية وانتمائه القبلي ، ليظهر عنصرا اجتماعيا جديدا بعد أن تقدم بفكره من الفكر الساذج في المعتقدات الى طريقة الإبداع في التواصل من خلال الرسم والتمثيل والديانة لتنتقل بذلك الحياة الدينية من طابع الرموز التي كانت على جدران الكهوف الى شكل أكثر تأثيرا وتطورا الى مرحلة التجسيم؛ إذ إن هذا التطور أضفى الى الإنسان في حياته في العراق القديم دليلا لحياته؛ إذ إن تلك الأجسام المبجلة والموقرة في تفكيره او صور التشبيه والمحاكاة التي آمن بها كانت من أولى الدعامات لإرساء قواعد الفكر الديني المدروس؛ إذ كان له ما له من أثر وتأثير في صحة وبقاء حياة الناس وعلاج آلامهم ودور تلك الآلهة في الزراعة وفي الحرب وربما أيضا كان له ذلك المؤثر القوي في ديمومة السلام في العراق القديم .

فيما يخص الآلهة فمع أنه لا يمكن معرفة أسمائها التي عُبدت قبل أطوار فجر السلالات في بلاد وادي الرافدين، لكن ظهرت الصور في الأختام الأسطوانية والمنحوتات والكتابة في طورها الصوري (الكتابة الصورية التي سبقت ظهور الكتابة المسمارية) التي عرفت أسماؤها في حين كانت سماتها منذ العهد الشبيه بالكتابة، وإن استمرار بناء الكثير من المعابد بعضها فوق بعض وتجديدها منذ أدوار عهد العصور السومرية وخصوصا في فتره من 2800 قبل الميلاد الى 2004 قبل الميلاد، فقد كانت سمة ديانة سكان بلاد سومر القدماء في العهد السومري القديم هي مبدأ الشرك؛ وذلك لكثرة الآلهة التي كانت تعبد في بلاد سومر، وفيما يخص التشبيه كما ذكرنا كان أبرز صفة للآلهة هي التشبيه بالبشر، إلا أنها لا تحمل صفه الخلود إذ إن الاعتقاد بالإله في حضارة بلاد وادي الرافدين قد نشأ من القوى والظواهر الطبيعية البارزة التي تؤثر في حياة القوم منها الكواكب والظواهر الجوية كالشمس والقمر والنجوم والسماء والهواء والماء والأرض، وإن أهمية هذه الآلهة متفاوتة، فمنها ما لا يوجد لها إلا مزار صغير في إحدى الطرقات او في أحد أركان بيت السكن، أما عن عباده هذه الآلهة فهنالك عبادات متعددة حسب تقسيم أهمية ومكانة الآلهة، وهذه الآلهة يمكن تقسيمها كما يأتي :

الآلهة الشعبية

يقصد بها العبادة الجماهيرية، لكن لعدم أهميتها لم يدون شيء عنها. (باقر، 1986 ص332)

الآلهة الرسمية

ويقصد بها الآلهة التي تحمل صفات الملك، وتكون مرتبطة بالسلالة والملك يكتب عنها الكثير.

الآلهة المحلية

ويقصد بها أن هناك طبقة وسطى من الآلهة تسمى الآلهة المحلية أو آلهة المدينة التي اختصت بها مختلف مدن بلاد وادي الرافدين القديمة، وتعد حامية لهذه المدن، وكانت هذه الآلهة هي المسؤولة عن الحروب التي تنشب بين المدن، ولكل مدينة إله خاص بها كان يقام في كل مدينة كبيرة معبد رئيس لعبادة إله المدينة الحامي، وقد تشيد معابد أخرى في نفس المدينة أقل أهمية لعبادة الآلهة الأخرى، وهناك مدن ضمت أكثر من 20 معبدا لـ 20 إلها، فضلا عن إله المدينة الرئيسة، وقد تخصص غرف ثانوية في معبد إله المدينة لتماثيل الآلهة الأخرى، وهو ما يوضح أن إله المدينة أعلى شأنا من الآلهة الأخرى، وإذا ما ارتفع شأن مدينة ما نتيجة التطورات السياسية ارتفع مركز إلهها على بقيه الآلهة، وهذا ما حدث فعلا مع الإله مردوخ إله مدينة بابل عندما أصبحت بابل مركز دولة كبيرة في زمن حكم الملك حمورابي، ومن بعده جاء ملوك من سلالة بابل الأولى، حتى إن البابليين والآشوريين عمدوا الى تغيير وتحوير القصص والأساطير الدينية، كقصة الخليقة مثلا لتنسجم مع مركز إلههم الجديد وجعله بطلا للآلهة، و من هذه الآلهة الإله من ننورتا والإله ننكرسو الذي كان اله مدينة لكَش الرئيس والاله زبابا اله مدينه كيش.(سوسة، 1980)

الآلهة العظام

أما الآلهة العظام التي عمت جميع المدن فكانت ثلاثة هي: الإله (آنو) إله السماء، والإله (إنليل) إله الجو، والإله (أنكي) إله الأرض والمياه.(شحيلات،2012ص 88)

وفيما يخص أشهر الآلهة، توصل الباحثون من خلال النصوص المسمارية التي تم العثور عليها إلى أسماء عديدة من الآلهة التي عبدت في معابد بلاد وادي الرافدين حتى أصبح من الصعب تحديد عدد الآلهة التي عبدت في العهود والعصور المبكرة المتأخرة منها من تاريخ بلاد وادي الرافدين لا سيما أنه دخلت مجمع الآلهة آلهة جديدة في فترات دخول أقوام جديدة إلى بلاد وادي الرافدين واستوطنت فيه، إذ يرأس مجمع الآلهة الإله آنو (إله السماء)، ويعد أبا الآلهة جميعا، ويليه في الأهمية الإله أنليل (إله الجو)، ثم الإله أنكي أو أيا (إله الأرض). (Black, Anthony,1992)

أخذ هؤلاء الآلهة حكم الكون من بعد القضاء على آبائهم من جيل الآلهة القديمة بعد صراع وحرب دامية ما بين الجيلين القديمة وبين الآلهة الحديثة كما جاء في أسطورة الخليقة البابلية المشهورة التي دونت في حدود عام 1700 قبل الميلاد وجعل بطل المعركة فيها الإله مردوخ إله مدينة بابل بعد أن عظم شأن هذه المدينة وأصبحت إمبراطورية في زمن ملكها الشهير حمورابي(1792 – 1750 قبل الميلاد) والمرجح أن البطل الأصلي في الأسطورة سومرية الأصلية الإله انليل، وهذا الأمر خير ما يوضح الاتجاه العام في ديانة حضارة بلاد وادي الرافدين في حاله تعاظم الإله محليا أي إله المدينة الى مركز إله عام ولكن دون أن تُنبذ عبادة الآلهة الأخرى، وهذا المبدأ المعروف في تاريخ الديانات بمصطلح التفريد؛ إذ لم تصل ديانة حضارة بلاد وادي الرافدين الى مبدأ التوحيد في جميع عهود تاريخها ، وما ذكرناه أعلاه هو الآلهة الرئيسة إلا أن هناك مجموعة أخرى من الآلهة الكبار يمكن أن نصفها بالمجموعة الثانية تتألف من الإله سين إله القمر والإله شمش إله الشمس والآلهة عشتار آلهة كوكب الزهرة (Albero,2003)

ومن الآلهة الأخرى التي عبدت في معابد بلاد وادي الرافدين هي الآلهة آدد (إله البرق والرعد)، والإله نركال وزوجته الآلهة أيريشيكال وهما (ملك وملكة العالم السفلي) أي عالم الأموات، والإله مردوخ (إله مدينة بابل) والإله آشور (إله مدينة اشور).

أما فيما يخص أهم وأشهر الآلهة والأكثر ترديدا في النصوص الأثرية والأدبية فيمكن إيجازها فيما يأتي:

الإله آنـو– Anu

كان الإله (آن) كما يعرف بالسومرية أو (آنو) كما يعرف باللغة الأكدية هو الإله الأعلى او الإله المحرك الأول في الخلق، ويكون متجسدا في السماء ، كان يعتقد سابقا أن جميع الآلهة هم من نسل الآلهة أنو وزوجته (كي) إلا أنه مع ذلك وصف الإله نفسه بأنه من نسل العديد من الكائنات البدائية في نصوص مختلفة مثل التعويذات وغيرها؛ فقد وصف بأنه الإله الأعظم(James,1963 p 27) ، مثل ما ذكرنا أن هذا الإله هو إله السماء عنده سكان بلاد وادي الرافدين؛ إذ يقع ترتيبه من حيث الأهمية في قمة الآلهة السومرية الرئيسة في العراق القديم؛ إذ كان يكتب اسمه بالعلامة المسمارية، في الأصل صورة تشبه صورة النجمة ذات الثماني رؤوس إشارة الى جميع جهات الكون الجغرافية، وهذا يعني أن الرؤوس الثمانية تعبر عن الشمول وتهدف أيضا الى التأكيد بأن الإله موجود في كل مكان من الكون، كان مركز عبادة الإله في مدينة الوركاء في معبد يعرف باسم المعبد الأبيض، وذلك نسبة الى طلاء الجص الأبيض على جدرانه وكانت ابنة هذه الآلهة هي عشتار إذ عبد الأب والبنت معا في المركز الرئيس لعبادتهما في مدينه الوركاء، ويسمى تعبدهما باسم اي –انا أي

بيت السماء، ويبدو أن المنزلة الرفيعة التي كان يحتلها الإله (آنو) باعتباره أبا للآلهة وملكها قد جعلته في منأى بعيد جدا عن مشاكل الآلهة والبشر. (Ali, 2018)

الإله أنليل – Inlil

يتكون اسم الإله انليل بالمقطعين هما (أن) بمعنى سيد (وليل) بمعنى الهواء فيكون معنى اسمه إله الجو او سيد الهواء او إله الريح(شحيلات ، 2012ص 129) ، أما المصادر الأجنبية فتصفه بأنه إله العواصف، وهو مسبب الفيضان وسيد اليابسة ومقره في أعالي الجبال الشامخة التي تصل الأرض عن السماء؛ لذا فقد دعي معبده باسم (اي –كور) اي بمعنى بيت الجبل الذي شُيد في مدينة نيبور التي كانت مركز عبادته، ووصفته بأنه إله خير وأبوي ، كانت وظيفته مراقبة البشرية والاهتمام برفاهيتها حتى وصفته إحدى الترانيم السومرية بأن بقية الآلهة لم تستطع النظر إليه، كانت طائفته مرتبطة ارتباطا وثيقاً بمدينة نيبور(Kramer,1983 p 115)، إلا أن المؤرخ طه باقر يذهب عكس هذا الاتجاه قائلاً: إن الإله أنليل كوالده آنو لا يرأف بالبشرية وإن زوجته ننليل التي تعطف على البشرية؛ لذلك كان سكان مدينة نيبور يسمونها (ألأم العظيمة) والأميرة التي تدافع عن الناس يوم الحساب. (باقر،1986 ص 335)

إن للإله انليل ألقابا كثيرة وردت في النصوص المسمارية المختلفة التي تم العثور عليها من قبل الباحثين أثناء عمليات الحفر والتنقيب الأثرية التي أجريت في مدن وسط وجنوب بلاد وادي الرافدين، ومن هذه الالقاب سيد جميع البلدان والجبل الكبير والإله الذي يقدر المصائر، والإله الذي لا رجعة في قراراته والإله الذي يمتلك بين لديه ألواح القدر، تذكر الملاحم الخاصة بخلق الكون. إن الإله انليل هو الذي قام بفصل السماء عن الأرض وهو الذي خلق الفأس أداه للعمل والمحراث ليتعلم الإنسان به فنون الزراعة، أما عن مركز العبادة فكان مكانها مدينة نيبور ولقب المعبد بالجبل العظيم وربما يرجع الى قدرة الهواء على جلب العواصف الترابية او الغيوم الكثيفة التي تشبه الجبال العالية، وهو الذي قرر الطوفان الذي أباد البشرية لقد واجهت إنسان بلاد وادي الرافدين القديم مصاعب وتحديات كبيرة؛ ذلك لأن البيئة النهرية في السهل الرسوبي جواري نهر دجلة والفرات تحتاج الى بذل الجهود الكبيرة للسيطرة على الفيضانات وتنظيم الري والتغلب على مشاكل ملوحة التربة، إذ كانت ملوحة التربة عند قدماء سكان بلاد وادي الرافدين من الآفات والعقوبات التي أحلها الإله انليل لإفناء البشر، أخذت عبادة هذا الإله بالانحدار في عام 1230 قبل الميلاد بعد أن نهب الإعلاميون مدينة نيبور فبعد هذه الفترة لم يرد ذكر لعبادة هذا الإله في النصوص التاريخية وحل محله الإله مردوخ.(tammi, 2011p59)

الإله انكي –Inki

هو إله الأرض وإله المياه الجوفية ومرتبته تأتي بعد الإله انليل وفي اللغة الأكدية يسمى أيا الذي عدته النصوص المسمارية إله الحكمة، ولديه مفاتيح القوى الإلهية (القيسي،2022 ص21)؛ لذلك كانت الآلهة تستشيره في المواقف الصعبة وتطلب منه المساعدة، كان مركز عبادته مدينة اريدو (ذي قار) ومعبده فيها منذ أقدم الأزمان، وكان هذا الإله هو الذي علم البشر المعارف والفنون، وولد له من زوجته ابنه البكر مردوخ الذي تولى عن الآلهة قتال الآلهة القديمة، وقضى عليها كما جاء في أسطورة الخليقة البابلية. (باقر،1986 ص335)

ومن أبرز الأمثلة على ورود الإله انكي في النصوص الأثرية، هو ما جاء في أسطورة نزول الآلهة انانا الى العالم السفلي لتطلق سراح الموتى ، وإن خوف الآلهة (انانا) من فشل مهمتها أوصت لوزيرها بطلب المساعدة من الإله انكي وتدخل الإله انك فعلا، وأنقذها من موت محقق، ثم إن البشرية مدينة الى الإله انكي بموجب قصه الطوفان؛ لأنه رفع عنها الوباء والقحط اللذين أنزلهما الإله انو لعقاب الناس وهو الذي كشف عن قرار الآلهة بأحداث الطوفان العظيم، وأمره أن يصنع الفلك ويشيد الإله انكي في أساطير سومرية وبابلية أخرى بدور الإله الخالق للإنسان كما جاء في قصه الخليقة البابلية، اذ زادت اصوات الآلهة مطالبة بخلق بديل يحمل عنها مشقة العمل من أجل إعمار الأرض.(Edward,2002 p34)

الإله ننا – Nanna

وهو ابن الإله انليل (إله ألقمر)، فقد كان القمر من بين الآلهة التي حظيت بقصد وافر من العبادة في بلدان الشرق الأدنى في العالم القديم ، ومن الأسباب المباشرة في انتشار عبادته على نطاق واسع كونه من أبرز الظواهر التي اعتمد عليها الإنسان في حساب أيام الشهر الذي اعتبرته السلالات الحاكمة القديمة كحساب سنين (شحيلات،2012 ص132)، ولهذا فقد ألف القدامى من سكان بلاد وادي الرافدين كثيرا من التراتيل والتقوس الخاصة بإله القمر وإن خسوفه من الظواهر المشؤومة ولدى سكان بلاد وادي الرافدين القدماء أرواح شريرة تهجم على القمر وتسبب حجبها، بما كان يستلزم اقامة صلوات وتقديم القرابين من أجل ظهوره مرة ثانية، وقد ربط سكان بلاد وادي الرافدين بين ظاهرة خسوف القمر ووقوع احداث خطيرة في البلاد؛ إذ تقول الأساطير السومرية بأن إله القمر ولد من إله الفضاء (انليل) وكانت زوجة الإله القمر اسمها (ننكال) او السيدة العظيمة، وله ابن هو الإله (شمش) أي شمس وابنته هي الآلهة (نانا) عشتار وكان الهلال رمز إله القمر على المنحوتات، ولأن الهلال يشبه القارب في الشكل، فقد نتج عن ذلك تصور سكان بلاد وادي الرافدين القدماء بأن إله القمر ينتقل في قارب عبر السماء.(Jeremiah,2011 p279).

الإله أوتو – Uto

وهو اله الشمس في اللغة السومرية (شمش) وبالرغم من جمله الآلهة الرئيسية الا انه يأتي في الترتيب الذي يلي مرتبة اله القمر، وهو ابن إله القمر ويظهر اله الشمس في الصباح من الجبال الشرقية ويرتفع في السماء ثم يغرب في الجبال الغربية وهذا الاله يستطيع ان يكشف بضيائه ظلمات الارض وهو قادر على رؤية كل شيء لذلك عُد اله الشمس اله الحق والعدالة، من قالوا عن بانه الاله الذي لا يخفى عنه سر وحسب المعتقدات السومرية فان الاله اوتو يغور ليلا في البحر وفي الصباح يظهر من بين الجبال، ومشهد ظهور الاله مصور على الاختام الأسطوانية بهيئة رجل تخرج من ظهره احزمة الأشعة الشمسية وقد صور على مسلة الملك حمورابي وهو جالس على العرش ويمسك بيده الصولجان والحلقة وقد لبس تاجا له أربعة أزواج من القرون ولحية تنبعث الأشعة من كتفيه والإله شمش لا يختلف عن الإله انكي من حيث نياته الحسنة نحو الآلهة والبشر.(Louise ,2014 p35).

الآلهة عشتار – Ishtar

هي آلهة الخصب عند السومريين وقد عبدها الأكاديون والبابليون تحت اسم عشتار، وتعني كلمة (انانا) سيدة السماء، ومما يقال عنها إنها حظيت بشهرة واسعة في جميع العصور التاريخية فهي الآلهة الأم ومصدر العطاء، وليس من شك في أن المعتقدات والطقوس الخاصة بالخصب التي مارسها إنسان عصور ما قبل التاريخ في بلاد وادي الرافدين تتصل اتصالا وثيقا بالآلهة الأم، على أن أبرز الصفات التي اشتهرت بها عشتار في كل الأزمان كونها آلهة الحب والجمال والجنس، وكانت الدمى التي مثلها السومريون والبابليون كثيرا من خلال ما كتبه الشعراء والأدباء لكونها ربة الجمال، وكان يرمز اليها في الأختام الأسطوانية بنجمة ثُمانية، وهي نجمة الزهرة التي تعبر عن ألمع وأجمل النجوم، ومن الصفات الأخرى أنها آلهة الحرب، وقد مثلها الفنانون بشخصية ربة الحرب على الأختام الأسطوانية، إذ تظهر الآلهة وهي تحمل عدة الحرب المكونة من السيف والقوس والصولجان، وتقف على أسد، وترتبط بالإله تموز زوجها، فعندما يكون حبا في الربيع تنمو النباتات في الحقول والبساتين والمراعي، وعندما يحل الصيف يموت الإله تموز وتموت النباتات وينزل تموز الى العالم السفلي، فتحزن عليه زوجته عشتار ويشاركها الناس بالحزن، وتقام الشعائر الدينية لضمان قيامه وبعثه الى الحياة في الربيع، وعندما يحيا الإله ويصعد من العالم السفلي تحيا الزراعة فتقام الأفراح والاحتفالات في غرة نيسان؛ إذ تبدأ السنة الجديدة، ويتم زواج تموز بعشتار لتأكيد دور الخصب والإنتاج اشتهرت مدينة أوروك مكانها مركز لعبادة الإله عشتار في معبدها المعروف باسم اينا أي بمعنى معبد السماء الذي يشكل القطاع الشرقي من مدينة الوركاء.(شحيلات،2012 ص 133).

لم تكن هذه الآلهة فقط التي عُبدت في العراق إلا أنها كانت أشهرها صيتا وأكثرها انتشاراً وأطولها مدة، إلا أن الساحة لم تخل من آلهة أخر مثل (أدد) إله الرعد والبرق، و (مردوخ) إله الحكمة في بابل، و (ننكرسو) والآلهة (ننخرساج) السيدة العظيمة زوجة الإله آنو والإله (نركال) إله العالم السفلي ، والإله (نبو) إله المعرفة والكتابة، وأخيرا الإله (دموزي) إله الخضار والنباتات والماشية.

فيما يخص الصلاة ، لما كان الإنسان منذ الأزل يشعر بالضعف وبالحاجة الدائمة الى قوة طبيعية او غيبية خارقه يركن اليها في شدائده، احتاج الى أن يتعلق بأسباب تلبي حاجاته فنحت من ذلك رموزا يتوسل اليها لتكون له زلفا بينه وبين ما لا يمكن إدراكه وهو الخالق العظيم من خلال الحجارة او بعض الدمى، لذا تعددت الآلهة في المعتقدات البدائية كل بحسب حاجته فكما ذكرنا هنالك آلهة للجمال وللخصب وللحرب وغيرها لذلك أخذ الإنسان يبعث فيه الهمة لمواصلة الصلاة أمام معبوده ليستتر منه العطاء والخير الذي يرجوه؛ وذلك ليزيد اعتقاده بهذا المعبود الذي يطمئن الى أنه هو السبب الرئيس في تحقيق الخير الذي يأتيه من قبله، فالصلاة عموما لمحة مقدسة وتوجه بالكلية الى من يعتقد النفع منه وخير دليل على ذلك انه وردتنا كلمة(Sallu) وتعني الصلاة في اللهجة الأشورية الحديثة، التي تضاه كلمة الصلاة باللغة العربية.(Parloa,2002 p125) وأثناء تقديم الصلوات واقامتها كان على الفرد او المتعبد او الكاهن، أن يخاطب معبوده بنغمة شعرية كذلك كانت ترتل بصيغة كلمات خطابيه للصلاة والقصد منها هو الطلب او التوسل، ويمكن تمييزها وتصنيفها في مراتب بحسب أنغامها ووفق استعمالها في الطقس منها رفع اليدين أثناء الصلاة والتراتيل لإنعاش قلوب الآلهة

حسب اعتقادهم وإطلاق صرخات لطلب الرحمة او لغفران الخطايا او لدرء أخطار الطبيعة (بوتيرو،1970 ص147)، وفيما يأتي عرض نموذج منتخب من الصلوات في العراق القديم:

صلاة التائب:

كان الشرك هو مبدأ من مبادئ الديانة في العراق القديم، أي كان للفرد الواحد أكثر من إله كما ذكرناه سابقا، أما بخصوص هذه الصلاة فلم تكن موجهة الى إله خاص، بل الى جميع الآلهة حتى غير المعروفين منها وكان الهدف الرئيس من هذه الصلوات هو طلب الرحمة من المعاناة التي كانت تواجه الإنسان القديم في العراق التي قام بها ،وقد أسس طلبه هذا على حقيقه تجاوزاته التي قد ارتكبها بصورة غير متعمدة او متعمدة وأنه لا يعرف أي إله سبب له الأذى، لهذا كانت صلاته موجهة الى جميع الآلهة والأكثر من ذلك فإنه يطلب التوبة منها بسبب طبيعته البشرية التي تجهل الإرادة السماوية لجهله وعدم معرفته، استمر في ارتكاب الذنوب وهذه مقتطفات من كلمات تلك الصلاة:

" ليهدأ هيجان قلب سيدي تجاهي، ليكن الاله غير المعروف هذا تجاهي لتكون الآلهة التي هي غير معروفه لي هادئة تجاهي، ليكون الاله الذي اعرفه ولا اعرفه هادئا تجاهي، ليكون قلب الاله هادئ تجاهي، ليكون قلب الهتي هادئة تجاهي، ليكن إلهي والهتي هادئين تجاهي، ليكن الاله الذي أصبح غاضبا عليَ هادئا تجاهي، لتكن الهتي التي اصبحت غاضبه عليَ هادئة، وبالجهل اكلت ذلك الممنوع من الاله، وبالجهل وضعت قدمي على ذلك الممنوع، سيدي ان ذنوبي كثيرة وتجاوزاتي عظيمة، إلهي تجاوزاتي عديدة وذنوبي عظيمة، إلهي الذي اعرفه والذي لا اعرفه تجاوزاتي عديدة وذنوب عظيمة، ان التجاوز الذي ارتكبته في الحقيقة أجهله، ان الذنب الذي عملته في الحقيقة أجهله، ....."(Stepens,1995 p391).

ومن الصلوات التي كانت ضرورية في العراق القديم، فقد كان الإنسان يلتمس بها الرحمة الإلهية ورضاها من خلال صلاة الاستسقاء إذ أدت المياه دورا مهما في حياه السكان آنذاك ولا سيما في سنوات الجفاف عند قله نزول الأمطار وبشكل خاص لدى سكان شمال العراق الذي تقل فيه عمليات الري والاستسقاء الصناعي ، ثم مدى أهميتها في استدامة الحضارة في بلاد وادي الرافدين فإن شحة المياه دفعت الناس الى ممارسة طقس الاستسقاء رغبه لنزول المطر وكانت تتم مراسيم الاستسقاء في العراق القديم بقيام أربعة من النساء بالوقوف على شكل متقابل، ثم يبدأن بتحريك أجسامهن وشعرهن الطويل، على أن تبدأ عملية تحريك الشعر باتجاه اليمين ومن ثم اليسار (رشيد،1997 ص 207)، لذا فإن سكان العراق القدماء وجهوا كل عنايتهم لتقديس اله الماء (انكي) الذي كان بيده مقاليد حياتهم ولذلك نجد أن أغلب أسباب الفقر وتردي الأوضاع تعود الى قلة مشاريع الري التي يمكن من خلالها إحياء الأرض، وبعث النشاط والحياه في السكان من جديد؛ إذ لا يقتصر الأمر على أهل القرى فحسب ليؤدي صلاة الاستسقاء، بل أهل المدن أيضا وكان يصاحب أداءها مراسيم التعاويذ، إذ كان يلبس أحدهم لباس العفريت والجان، فيسكب عليه الماء وتقرأ التعاويذ لطرد تلك الأرواح الشريرة التي في اعتقادهم كانت تحبس المطر وتمنع نزوله، وأيضا نجد في النصوص التاريخية أن الملك سنحارب قد دعا الإله بعد رجوعه من بلاد بابل وقضائه على ثوره بلاد البحر(شمال العراق الحالي) عندما رأى حقول نينوى وبساتينها قد يبست لانقطاع المطر وجفاف العيون وخرج للناس يستصرخون الإله فأوحى إليه أن يجمع 18

نهرا ويجريها نحو سهول نينوى العطشة ويخزن مياهها الفائضة في سد عظيم لا تزال آثاره باقية الى هذا اليوم وتعرف بآثار سد جروانة.(الأمين ،2007 ص37)

الخاتمة

عاش إنسان بلاد وادي الرافدين في بيئة قاسية وغامضة دفعته الى العمل على ترويضها بما يضمن له العيش مع عائلته، فعمد الى تقديم التفسيرات للأمور والأحداث المحيطة به والمؤثرة في حياته بطريقة أتاحت له خلق نوع من التنظيم والترتيب.

انطلقت فلسفة الفكر الديني في المجتمع بلاد وادي الرافدين من فلسفه التأثر بمظاهر الطبيعة واسترضائها ومحاولة محاكاتها والاعتقاد بوجود قوة خفية فيها.

تعدد الآلهة السومرية والبابلية والأشورية جاء نتيجة لتعدد المظاهر الطبيعية مثل السماء والنجوم والكواكب والأرض والأنهار والقمر وغيرها ونظر سكان بلاد وادي الرافدين الى الطبيعة على أنها مرتبطة معه ارتباطا وثيقا، وما ذكر من آلهة ما هو إلا اعتقاد ودليل أن كل مظهر من مظاهر الطبيعة يتمثل على أنه إله.

حاول الإنسان في بدايته تكوين علاقة بينها وبين الظواهر الطبيعية والحيوانات عِبر رسمها على جدران الكهوف إذ كان يعتقد أن كل ما هو مصور على الجدران يمثل الكائن الروحي لذلك الشيء المرسوم.

بعد زيادة معارف الإنسان في الطبيعة تولدت لديه فكرة الآلهة المتعددة والقوية والمسيطرة إذ تم بناء المعابد لها وتسمية الآلهة وترتيبها من حيث الأهمية في حياة الفرد آنذاك.

حاول سكان العراق القديم التقرب الى الآلهة بالقرابين ومن ثم ظهرت الصلوات المنظمة في المعابد والطرق العامة لطلب غاية من الآلهة او محاولة استرضائها او لإنزال المطر وغيرها فكانت الصلاة هي الرابط الأساسي بين العبد والآلهة.

صور العراقيون القدماء الآلهة على هيئة وصور البشر ومنحوها صفات بشرية فضلا عن صفاتهم الإلهية في بنظرهم كالإنسان تعمل وتأكل وتشرب وتنجب الأطفال الذين هم من أبناء الآلهة.

توجه الإنسان الى الإله عن طريق الصلاة، فقد كانت وسيلة الربط بين الآلهة والفرد من خلال الصلاة في المعابد والتمتمة ببعض الكلمات والدعاء من أجل شيء خاص كالاستغفار او عام كدرء أخطار الفيضان والحروب وغيرها.

كان الإله آنو هو أب الآلهة جميعا بينما الآلهة عشتار كانت الآلهة الأم.

كان لزيادة الوعي والمعارف للفرد في العراق القديم الدور الكبير في تطور فكرة الآلهة وتعددها.

المصادر والمراجع العربية:

1. الأعرجي، حسين سيد نور جلال،2022: أثر الحتمية البيولوجية في الفكر الديني العراقي القديم، مجلة واسط للعلوم الإنسانية، مج15، العدد 46- واسط. https://doi.org/10.31185/.Vol16.Iss46.228
2. الأمين، محمود، وبشير، فرنسيس ،2007: شعار سومر رمز الحياة والحكمة والعرفان ط1، – بيروت

3. أنطوان، مورتكات، دت: تاريخ الشرق الأدنى القديم، تعريب سلمان عبد الباقي، قاسم طوبر، علي أبو عساف– بيروت
4. اوبنهايم، ليو، 1981: بلاد ما بين النهرين، ترجمة سعدي فيض عبد الرزاق، وزارة الثقافة والاعلام، سلسلة الكتب المترجمة– بغداد.
5. القيسي، محمد فهد،2022: التفكك الاسري عند الآلهة في العراق القديم، مجلة واسط للعلوم الإنسانية، مج 15، العدد 44– واسط.https://doi.org/10.31185/.Vol15.Iss44.283
6. الدباغ، تقي: الهة فوق الأرض، دراسة مقارنة بين المعتقدات الدينية القديمة في الشرق الأدنى واليونان، مجلة سومر، مج 19.
7. الطعان، عبد الرضا، 1981: الفكر السياسي في العراق القديم، دار الرشيد – الجمهورية العراقية.
8. الهاشمي، طه، 1963: تاريخ الأديان وفلسفتها، منشورات دار مكتبة الحياة – بيروت.
9. باقر، طه، 1976: مقدمة في ادب العراق القديم، مطبعة جامعة بغداد، كلية الآداب، دار الحرية للطباعة – بغداد.
10. باقر، طه،1986: مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة– الوجيز في تاريخ حضارة وادي الرافدين، ج1، دار الشؤون الثقافية، وزارة الثقافة والاعلام، ط2–بغداد.
11. بوتير، جان، 1970: الديانة عند البابليين: ترجمة وليد الجابر – بغداد.
12. بوتيرو، جان 1990: بلاد الرافدين (الكتابة – الدين – الآلهة) ترجمة الاب البيرابونا، مراجعة وليد الجابر، دار الشؤون الثقافية –بغداد.
13. رشيد، عبد الوهاب حميد،2004: حضارة وادي الرافدين ميزوبوتاميا، ط1، دار المدى الثقافية والنشر– دمشق.
14. رشيد، فوزي 1991: علم الفلك بدايته وانجازاته، مجلة المؤرخ العربي، العدد (5) –بغداد.
15. ساكز، هاري ،2000: الحياة اليومية في بلاد بابل واشور، وزارة الثقافة، دار المأمون للطباعة والنشر– بغداد
16. سوسة، احمد،1980: حضارة وادي الرافدين بين الساميين والسومريين، دار الحرية للطباعة، ط1 – بغداد.
17. شحيلات، علي، 2012: مختصر تاريخ العراق القديم، ط1، ج2 دار الكتب العلمية– بيروت.
18. شمار، جورج بوبيه،1981: المسؤولية الجزائية في الآداب الاشورية والبابلية: ترجمة سليم الصويص – بغداد
19. علي، اسوار تحسين، 2013: تماثيل الآلهة الام في الشرق الأدنى القديم، مطبعة دار الصادق– بغداد.
20. كاسيرر، أرنست ،1995: الدولة والأسطورة، ترجمة أحمد حمدي محمود، الهيئة المصرية العامة للكتاب – القاهرة.
21. كوتينيو، جورج 1986 الحياة اليومية في بابل واشور، ترجمة سليم التكريتي، ط2، وزارة الثقافة والاعلام، دار الشؤون الثقافية العامة – بغداد.

22. لابات، رينيه،1988: المعتقدات الدينية في بلاد وادي الرافدين، ترجمة البيرابونا ووليد الجابر – بغداد
23. مارغريت، روتن ،1984: تاريخ بابل، ترجمة زينة عازار وميشال ابي فاضل ط 2، منشورات عويدات، بيروت– باريس.
24. ميلارت، جيمس، 1990: أقدم الحضارات في الشرق الأدنى، ترجمة محمد طلب. تقديم: سلطان محيسن، دار دمشق للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى – دمشق.
25. هنري، برجسون ،1971: منبعا الاخلاق والدين، ترجمة سامي الدروبي وعبد الله عبد الدائم، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر– القاهرة.

المصادر والمراجع الإنكليزية:

1. Black, Jeremy; Green, Anthony (1992), Gods, Demons and Symbols of Ancient Mesopotamia: An Illustrated Dictionary, the British Museum Press.
2. R.W Albero.Green, 2003: god in the ancient Near East, biblical and Judaic studies- India
3. E.O James, 1963: "The Worship of the Sky god: A Comparative Study in Semitic and Indo-European Religion", Jordan Lectures in Comparative Religion, series 6, University of London.
4. Ali, atac Mehmet, 2018: Art and immortality in ancient Near East, -Cambridge University.
5. Tammi j , Schneider, 2011: an introduction to ancient Mesopotamian religion, oxford- England.
6. Pryke, Louise M, 2017: city of Ishtar, New York City, New York and London- England.
7. Parpola,s ,2002 : the Helsinki neo- Assyrian dictionary- Chicago.

الشريف المرتضى، علي بن الحسين بن موسى، (ت 436هـ) (1997) . مسائل الناصريات (تحقيق: مركز البحوث والدراسات العلمية). رابطة الثقافة والعلاقات الإسلامية، طهران.

الشيرازي، أبو إسحاق إبراهيم بن علي، (ت 476هـ) (1992) .المهذب في فقه الإمام الشافعي .دار الكتب العلمية.

الأصفهاني، الحسين بن محمد، (ت 502هـ) (1412 هـ) .مفردات ألفاظ القرآن .دار القلم، دمشق.

الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب، (ت 360هـ) (1995) .المعجم الأوسط (تحقيق: أبو معاذ طارق وأبو الفضل عبد المحسن). دار الحرمين، القاهرة.

الطبري، محمد بن جرير، (ت 310هـ) (2000) .جامع البيان في تأويل القرآن (تحقيق: أحمد محمد شاكر). ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت.

الطريحي، فخر الدين بن محمد، (ت 1089هـ) (1365 هـ) .مجمع البحرين ومطلع النهرين (تحقيق: أحمد الحسيني). ط2، مكتبة المرتضوي، طهران.

الطوسي، أبو جعفر محمد بن الحسن، (ت 460هـ) (1365هـ) .تهذيب الأحكام في شرح المقنعة للمفيدة . ط4، دار الكتب الإسلامية، طهران.

ابن أبي عاصم، أحمد بن عمرو، (ت 287هـ) (1991) . الأحاد والمثاني (تحقيق: باسم فيصل أحمد). ط1، دار الراية، الرياض.

ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله، (ت 463هـ) (1387 هـ) .التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (تحقيق: مصطفى بن أحمد ومحمد عبد الكبير)، وزارة عموم الاوقاف، المغرب.

الفيروز آبادي، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب، (ت 817هـ) (2005) .القاموس المحيط، (تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف محمد نعيم العرقشوسي). مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر، بيروت.

الكليني، أبي جعفر محمد بن يعقوب، (ت 329هـ) (1367 هـ) .الفروع من الكافي (تعليق: علي أكبر عقاري). دار الكتب العلمية، طهران.

مالك، أبو عبد الله مالك بن أنس الأصبحي، (ت 179هـ) (1994) .المدونة الكبرى، .ط1، دار الكتب العلمية.

المرغيناني، علي بن أبي بكر، (ت 593هـ) (1995) .الهداية في شرح بداية المبتدي، (تحقيق: طلال يوسف). دار إحياء التراث العربي، بيروت.

ابن منظور، أبو الفضل بن مكرم، (ت 711هـ) (1414 هـ) .لسان العرب، (تحقيق: أمين محمد عبد الوهاب وصادق العبيدي). دار إحياء التراث، بيروت.

الأمين، محسن .(1983) *.أعيان الشيعة* (تحقيق: حسن الأمين). دار التعارف، بيروت.

أيوب، حسن .(2010) *.فقه المعاملات المالية في الإسلام* .ط4، دار السلام للطباعة والنشر، مصر.

البغدادي، إسماعيل باشا .(1955) *.هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين* .وكالة المعارف، إسطنبول.

الجزيري، عبد الرحمن بن محمد .(2005) *.الفقه على المذاهب الأربعة* .ط1، دار التراث، القاهرة.

الحسيني، أحمد. (1365 هـ) *.مقدمة كتاب مجمع البحرين ومطلع النهرين* (تحقيق: أحمد الحسيني). طهران.

حمادة، نزيه .(2014) *.معجم المصطلحات المالية والاقتصادية في لغة الفقهاء* .ط2، دار القلم، دمشق.

الزركلي، خير الدين .(1979) *.الإعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين* .ط4، دار العلم للملايين، بيروت.

أبو زهرة، محمد .(1915) *.تحريم الربا تنظيم اقتصادي* .ط2، الدار السعودية للنشر، جدة.

سابق، سيد .(1998) .*فقه السنة* .دار الفكر، بيروت.

الشوكاني، محمد بن علي .(1993) .*نيل الأوطار* .ط1، دار الحديث، القاهرة.

الطهراني، أغا بزرك. (1403 هـ) .*الذريعة إلى تصانيف الشيعة* .ط2، دار الأضواء، بيروت.

العاملي، محمد بن الحسن. (1362 هـ) .*أمل الآمل* (تحقيق: السيد أحمد الحسيني). قم.

العظيم آبادي، محمد أشرف بن أمير. (1415 هـ) .*عون المعبود شرح سنن أبي داود* .ط2، دار الكتب العلمية، بيروت.

فرغلي، عبد الحفيظ. (د. ت) .*البيوع في الإسلام* .دار الصمود، القاهرة.

المجلسي، محمد باقر. (1404 هـ) .*بحار الأنوار الجامعة دور الأئمة الأطهار عليهم السلام* .ط4، مؤسسة الوفاء، بيروت.

المشكيني، علي. (1319 هـ) .*مصطلحات الفقه* .ط1، مطبعة الهادي، قم.

مصطفوي، محمد كاظم. (1423 هـ) .*فقه المعاملات* .ط1، مؤسسة النشر الإسلامية، إيران.

البدري، منير .(2014) .الجوانب الاقتصادية والمالية في كتاب تهذيب اللغة للأزهري ت 370 هـ / *980م* . رسالة ماجستير، كلية التربية، جامعة واسط، واسط.

محمد جودي ا. (2023). الدور الاقتصادي للمرأه في العصر العباسي. مجلة واسط للعلوم الانسانية، 19 (54). https://doi.org/10.31185/.Vol19.Iss54.376